من زيارة القدس المحتلة ،وانتهاء بعقد معاهدة الصلح مع العدو القومي ٠

ولسنا ممن يأخذون على الرئيس المصري انه عقد صلحا منفردا ، ولكننا نأخذ عليه انه عقد صلحا ، لان الصلح في حد ذاته (منفردا كان ام جماعيا) هو اقصى ما يسعى اليه الغزاة الراغبون في الحصول على غطاء شرعي للامر الواقع الذي فرضوه بقوة السلاح ٠ واخطر ما يحمله هذا الغطاء الشرعي ، هو انه يعني انهاء حالة النزاع والغاء روح العداء ، أي حرمان الطرف المعرض للغزوة من الرافعة اللازمة للحشد وتبديل ميزان القوى وتحقيق التغيير ٠ فماذا قدم الغزاة للسادات مقابل هذا التراجع الاستراتيجي الكبير ؟

ان بنود المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية تنص على مصالحة الغزاة والاعتراف بهم وتطبيع العلاقات معهم ، لقاء الانسحاب من سيناء (التي ستكون السيادة المصرية عليها ناقصة) ، والبدء بالتفاوض حول مستقبل الحكم الذاتي في الضفة والقطاع ٠ اي ان مجمل ما قدمه الغزاة يبقى في اطار التخلي عن جزء من الرهينة المحتفظ بها منذ حرب ١٩٦٧ ٠ وحتى ولو ان « مكاسب » السادات شملت جدلا الرهينة كلها ، واسفرت عن تصفية جميع آثار حرب حزيران ١٩٦٧ ، فان ذلك لن يبدل شيئا من طبيعة المعاهدة ، التي ضمنت للغزاة شرعية المكتسبات التي حققوها في مرحلة بناء رأس الجسر ، مقابل تخليهم عن مكتسبات حصلوا عليها في مرحلة لاحقة ٠

ويمكن القول هنا ان المعاهدة كانت النتيجة العملية لاستنزاف ارادة الصراع عند اقطاب النظام المصري ٠ وان هذا الاستنزاف قد اخذ بعدا كبيرا بعد حرب ١٩٦٧ ، بسبب ضخامة الهزيمة وحجم الرهينة ٠ كما يمكن القول ان الرئيس المصري قد قبل عند التوقيع على المعاهدة استعادة « الجزء » مقابل التخلي عن « الكل » ٠ ولقد حاول بعض منظري الفكر المساوم ايجاد مبرر لذلك العمل استنادا الى القاعدة القائلة : « ما لا يؤخذ كله لا يترك بعضه » ٠ ولكن التبرير لا ينسجم مع معطيات الظرف الذي جرى فيه توقيع المعاهدة ٠ اذ ان انجراف السادات نحو الصلح مع العدو الصهيوني جاء بعد ضربة الايقاف التي سددتها الامة العربية الى الغزاة في تشرين٠ اي انه جاء في مرحلة التوازن الاستراتيجي وبدء الحشد استعدادا للهجوم المعاكس ٠ وكانت كل الدلائل تشير الى ان الامة العربية قد استعادت ثقتها بنفسها ، ووعت حقيقة القدرات الكامنة التي تمتلكها، وتوصلت الى شكل ما من اشكال التضامن ، ولم يبق امامها سوى الارتقاء بمستوى التضامن والحشد لتحقيق التفوق على الغزاة الذين وصلت قوتهم الى درجة الاشباع ، ولم يعد بوسعهم زيادة قوتهم الا ببطء وصعوبة ٠

في هذه اللحظة التي اصبحت الغزوة فيها على حافة المنحدر النازل ، ووقفت فيها الامة العربية على عتبة التحرير ، وانفتحت امامها آفاق الحصول على